

## ذكرة بحر

جاؤوا إليّ يتوافدونُ  
من كل صوب وحدث يتراكضونُ  
يحملون في العيون آمالاً  
وفي الرؤوس أوهاماً  
ويحلمونُ  
صغار، كبار، نساء، رجال  
أثرياء، فقراء، غرباء  
على شواطئي يتزاحمونُ  
يرمون همومهم في حضني  
وعلى رمالي الفضية يتمرغونُ

أطفال بالبراءة يلعبونُ  
شباب شبه عراة يسبحونُ  
وعلى الرمل يرقصونُ  
وشيوخ يتذكرونُ  
يبتسمون حيناً  
وحيناً يتألمونُ

فلاسفة في الكون يتأملونُ  
أثرياء يتآمرونُ  
يسبحون بحمد المال

وخمر المجونُ  
تُغساء هاربونُ  
من الفقر والظلم  
متعبونُ  
بؤساء في ثيابهم الرثة يتبخثرونُ  
ويتوسلونُ

عساكر أشاوس  
يتلصصونُ  
على ضيوف في يتجسسونُ  
إرهاب الناس يستعذبونُ

فقهاء يتوافدونُ  
للبحر يبتهلونُ  
يصلون صلاة الغائب  
على من خانهم الحظ  
وفي قعري منذ زمن بعيد  
يرقدونُ

أداعب ضيوف في  
أضمهم إلى صدري العاري  
في دفئ أحضاني يستسلمونُ  
أحكي لهم حكايات الدهر  
ظلم الطغاة

وهم الحياة  
عشق الغزاة  
ودنيا المجون  
جهل الدعاة  
عيون الشتات  
وليل الشجون  
وأغني لهم أغنية الرعاة  
وهم في الهم والوهم والحلم والقمل  
منغمسون  
يسمعون ولا يفقهون

جهلاء لا يدركون  
أني هنا صامد لا ألين  
حارس على تراث أجدادي  
ووصايا الأقدمين  
مواطنين، مستغربين، ومستشرقين  
أقرأ ما لا يقرؤون  
أسمع ما لا يسمعون  
أرى كل شيء  
وأعرف ما لا يعرفون  
جلسوا على الرمال يلعبون  
بالطين يتنافسون  
يبنون قلاعاً

ويهدمون  
تحرسها عساكر مدججون  
أبطال وأقزام مُنهزمون  
أمام الموجة الأولى هربوا  
عن الأنظار اختفوا  
في القصور والثكنات يختبئون  
وعلى شاشات التلفاز يستعرضون  
نياشين تُزين الصدور  
تقول لكل العيون  
البريئة والخائفة  
والمتعبة من عبء الشجون  
نحن حماة الديار  
فدائيون مخلصون

وهناك على صخرة الأحزان  
جلس الثوار المُفلسون  
على ضحايا الجهل يترحمون  
يبكون ويتباكون  
يلعنون الحظ والقدر والبشر  
وعلى ما فات يتحسرون  
ومن حولهم صبية يصرخون  
بأعلى الصوت يهتفون  
عائدون... عائدون

بلهاء لا يفقهون  
فقدوا العقل  
أضاعوا الرشد  
كفروا بالشعب والأرض  
واعتنفوا الجنون

مروا عليّ عراة يتهامسون  
خلف صخرة العشاق جلسوا  
يبكون ويتعاتبون  
والشهوة تغزو العيون  
تناسوا الزمن  
وكل القرون  
نشوة الغرام المحظور يتذوقون  
ويتأوهون

حفاة مروا يتسكعون  
تحت أشجار النخيل  
جلسوا يتسامرون  
يدخنون السيجار والارجيلة  
يشربون الخمر ويثرثرون  
يغيبون عن الوعي  
وعن الزمن يتغيبون  
والماء والهواء والأرض والسماء  
بلا وعي يلوثون

مروا عليّ  
بالعباءات يرفلونُ  
بالمال والحريم يتنافسونُ  
يتملقون بعضهم بعضاً  
ينافقون  
وعلى الله والناس يكذبون  
وعليّ شواطئي ومستقبلي  
يتأمرون  
ويرسمون على وجهي  
ناطحات سحب للأثرياء  
وملاهي للطغاة والغرباء  
وعلى الثمن  
والعمولات يتفاوضونُ  
وأموال الشعب  
يسرقونُ  
لقمة الصيد  
حديقة الأطفال  
مشتى العصافير  
يهدمونُ  
بذاكرة الشيخ  
وعشاق الطبيعة  
يستهنونُ  
وأنا أقف مشدوهاً

يسكنني السكونُ  
أتساءل عن الجشع والغبن  
عن المشردين  
وسكان السجونُ  
وأسأل الزمن  
هل يكفي دم الشعب  
لسداد الديونُ  
وأتساءل مستغرباً  
لم يموت الحلم  
ينتحر العدل  
يتمادى الحاقدونُ في الغي  
ويتحكم الظالمونُ

ومن بعيد رأيتهم يرتجفونُ  
من الخوف وعتمات الليل  
على بطونهم يزحفونُ  
وكلهم آذان وعيونُ  
يخططون للمرور من فوق  
أثناء نومي  
والشمس في حضني  
إلى الغرب يُهاجرونُ  
وعن الوطن يرحلونُ  
يخشون أن أفشي السر

ويُضبطونُ  
بجريمة حب الحياة مُتلبسونُ  
ويأتي حراس الشواطئ  
يعتقلون كبيرهم وصغيرهم  
ويرمونهم في غياهب السجونُ  
ويتهمونهم بتهريب الناس  
الكيف والأفيونُ  
بلا محكمة يُحكمونُ  
وبلا قانون يُسجنونُ

وعلى بعد ميل رأيتهم يتسللونُ  
يُنزلون قوارب الموت في مياهي  
على العبور فوق أمواجي  
يتراهنونُ  
إلى حلم التعيس والمغبونُ  
يتطلعونُ  
بعيون متعبة  
وقلوب بالحزن مثقلة  
للمغامرة يتحفزونُ

والقارب المسكين يترنج  
على صخرة العشاق يتحطم  
والعيون واسعة خائفة  
يغرقونُ



في عالم مجهول مجنون  
يسكنه السكونُ

سألني الحراس عن هويتهم  
قلت مشردونُ  
من الوطن هاربونُ  
فقدوا الأمل في عدالة السلطان  
على التقاليد ساخطونُ  
سئموا العيش في المخيمات  
والسير في عتمة الطرقات  
في الحياة زاهدون  
في الصمت متمردونُ  
لا يهابون المرور فوق أمواجي  
مغامرونُ  
على الموت يتسابقونُ  
تأثرونُ  
أهوال أعماقي يفضلونُ  
على وطن بائس  
يحكمه الجنونُ

مروا عليّ يتبخثرونُ  
أباطرة يتمايلونُ  
ظنوا أنهم قادرونُ  
على هزيمة الموت والبحر

كسر عنادي  
وإغراقي في نار الشجونُ  
مساكين واهمونُ  
لا يدركون أنني باقي هنا  
حارس يرى بلا عيونُ  
بلا أذان يسمع ما لا يسمعونُ  
يرصد المكشوف والمكنونُ

شاهد على ضياع الوطن  
مهزلة الشرف  
مقصلة العدل  
محرقة الأمل  
وهم فانونُ  
كغيرهم من الغزاة والطغاة والرعاة  
عابرونُ

جهلاء لا يعلمونُ  
أن لا هروب من حضني  
ولا اختفاء عن عيني  
ولا صمت يشفع في صمتي  
ولا سر يُكتم في ظهري  
غير ما في قعر قعري  
من ضحايا بلا كفونُ

مسرحية هزلية  
مؤلمة حتى الجنونُ  
ممثلات  
ممثلونُ  
لأنفسهم يَصْفِقُونَ  
مهرجون مكابرونُ  
على الوطن يتراهنونُ  
على أشلاء الأمل  
من خيبة الأمل يتراقصونُ  
ساجدون في النهار  
وفي الليل يُسَبِّحُونَ  
يدخنون في النهار  
وفي الليل يسكرونُ  
أمة خيارها بلهاء  
حكامها سفهاء  
وسادتها لصوص محترفونُ

د. محمد ربيع [www.yazour.com](http://www.yazour.com)